| | |
|---|---|
| شعبة: الدراسات الإسلامية<br>كلية الآداب والعلوم الإنسانية<br>مكنـــــاس | الموسم الدراسي: 2019- 2020<br>وحدة: علوم القرآن<br>المستوى: الفصل الثاني |

# المذكرة الثانية في علوم القرآن

الأستاذ
د.عبد الواحد الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

## محاور الوحدة:

- **الشق النظري:**

- علم المحكم والمتشابه
- علم الناسخ والمنسوخ
- علم إعجاز القرآن الكريم
- علم غريب القرآن
- علم المناسبة

- **الشق التطبيقي:**

- حفظ الحزب الثامن والخمسون من القرآن الكريم
- تحليل المقاطع الآتية:
  - المقطع الأول: من الآية الأولى إلى الآية التاسعة من سورة المزمل
  - المقطع الثاني: من الآية الأولى إلى الآية السابعة من سورة المدثر
  - المقطع الثالث: من الآية الأولى إلى الآية الثالثة من سورة الإنسان
- قراءة كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم لموريس بوكاي

- **المراجع والمصادر:**


  - البرهان في علوم القرآن للزركشي
  - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي
  - مناهل العرفان للزرقاني
  - مباحث في علوم القرآن لمناع القطان

# علم المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

**المحكم والمتشابه، المفهوم والأنواع:**

- **تعريف المحكم والمتشابه في اللغة :**

المحكم في اللغة المنع، قال الزركشي في "البرهان": المحكم لغة المنع، فتقول: أحكمت بمعنى رددت، وسمي الحاكم حاكما لأنه يمنع الظالم من ظلمه، ومنه حكمة اللجام، وهي التي تمنع الفرس من الاضطراب.

ومنه قول جرير: أبني حنيفة احكموا سفهائكم ***إني أخاف عليكم أن أغضب

أي امنعوا سفهائكم.

وقال صاحب الإتقان:المحكم: اسم مفعول من أحكم، أي أتقن ، يقال : بناء محكم، أي متقن، لا وهن فيه ولا خلل.

والمتشابه لغة: اسم فاعل من تشابه، وهو أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني، كما يقول السيوطي.

- واصطلاحا، قال القرطبي: إن المحكم ما عرف المراد منه، والمتشابه : ما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل السور. وهو ما ذهب إليه الشيخ مناع القطان رحمه الله.

وقيل: أن المحكم ما لايحتمل إلا وجها واحدا، والمتشابه ما احتمل أوجها، ففي قوله تعالى: ( ثلاثة قروء)، يكون لفظ (ثلاثة)، على هذا التفسير، محكما لأنه لا يحتمل إلا معنى واحدا، وهو العدد ثلاثة ، وأما لفظ (قروء)، فهو، على هذا التفسير، من المتشابه، لأنه مشترك لفظي يحتمل أكثر من معنى، فهو يأتي بمعنيين (الطهر والحيض).

وقيل: أن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره .

وقيل: إن المحكم : هو آيات الأحكام، والمتشابه هو: القصص والأمثال.

وقيل: إن المحكم : هو الناسخ، والمتشابه : هو المنسوخ.

وعرفه الأصوليون بأنه: اللفظ الذي ظهرت دلالته بنفسه على معناه ظهورا قويا على نحو أكثر مما عليه المفسر، ولا يقبل التأويل ولا النسخ .

**الإحكام والتشابه العام:**

وصف الله تعالى آيات القرآن كلها بأنها محكمة، فقال: (كتاب أحكمت آياته)، أي أتقنت ، فيكون معنى الإحكام العام في هذه الآية، الإتقان، الذي يشمل كل آيات القرآن. كما وصف سبحانه آيات القرآن كلها بأنها متشابهة، في مواضع منها قوله تعالى : (كتابا متشابها)، أي أنه متشابه في المثلية والإتقان، وهذا هو معنى التشابه العام ، فآيات القرآن كلها متشابهة من حيث الإتقان.

وورد أيضا وصف القرآن بأن منه محكما ومنه متشابها، كما في قوله تعالى: (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات).

**أنواع المحكم:**

المحكم نوعان:

- آيات مبينات يستطيع كل إنسان أن يفهمها، إذا كان عارفا باللغة العربية.
- آيات لا يدرك مدلولها إلا العلماء الواقفون على أسرار العربية، القادرون على الإفادة من قواعد الاستنباط وأصول الفقه وقواعد البلاغة.

**أنواع المتشابه:**

المتشابه درجات، فبعضه أشد تشابها من بعض، وقد توسع فيه بعض العلماء، الذين يقولون بأن المتشابه يمكن معرفة معناه، حتى جعلوا، الكلمة الغريبة التي يكشف عن معناها في كتب غريب القرآن، أو معجمات اللغة، من المتشابه.

**التقسيم الأول:**

وهو ثلاثة أنواع:

أولا : متشابه من جهة اللفظ: وهو الذي أصابه الغموض بسبب اللفظ وهو نوعان:

- نوع يرجع إلى الألفاظ المفردة : وذكروا له ضربين :

ضرب يرجع إلى الغرابة : مثل (الأب) فق قوله تعالى : (وفاكهة وأبا)

وضرب يرجع إلى الاشتراك، وهو استخدام اللفظ الواحد لأكثر من معنى، كلفظ العين، فهو يطلق على عين الماء، وعلى عين الإنسان الذي يبصر بها، وعلى الذهب، وعلى الجاسوس، ولفظ القرء يطلق على الطهر والحيض.

- ونوع يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذكروا لذلك ثلاثة أضرب: ضرب ينشأ عن إختصار الكلام ،وضرب ينشأ عن بسط الكلام، وضرب ينشأ بسبب نظم الكلام.

ثانيا: ومتشابه من جهة المعنى، وهو الذي أصابه الغموض بسبب المعنى نفسه، كأوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة.

ثالثا:متشابه من جهة المعنى واللفظ جميعا، وهو خمسة أضرب، الأول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو اقتلوا المشركين، والثاني: من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو فانكحوا ما طاب لكم، والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو اتقوا الله حق تقاته ، والرابع: من جهة المكان أو الأمور التي نزلت فيها نحو وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، وقوله: إنما النسيء زيادة في الكفر، فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية، والخامس: من جهة الشروط التي بها يصح الفعل أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح.

**التقسيم الثاني:**

و ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولا : قسم لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة.

ثانيا : وقسم للإنسان سبيل إلى معرفته ، كالألفاظ الغريبة.

ثالثا : وقسم متردد بين الأمرين، يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم.

**المحكم والمتشابه، وعلاقته بالتأويل:**

- **القول في تفسير قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم):**

اختلف المفسرون في معنى الواو في قوله تعالى: (والراسخون)، فقال ابن قدامة، أن الواو استئنافية، وهو الأصح من جهة السياق وقواعد اللغة ، لأن الراسخون فوضوا وآمنوا، ولو كانوا يعلمونه لكان محمودا لا مذموما، ولو كانت الواو عاطفة لم يكن لقوله تعالى : (كل من عند ربنا) فائدة.

ويقول الشيخ الشنقيطي، في "أضواء البيان" ، بأن القول بأن الوقف تام على قوله تعالى : (إلا الله) وأن قوله تعالى : (والراسخون في العلم) إبتداء كلام ، هو قول جمهور العلماء ، وممن قال بذلك عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم كثير.

وقال مناع القطان في مباحثه:

أولا: ذهب الجمهور، إلى أن الواو في قوله تعالى: (والراسخون في العلم) للإستئناف ، وقد سبق في كلام الإمام الشنقيطي.

ثانيا : ذهب بعض العلماء وعلى رأسهم مجاهد، إلى أن الواو عاطفة، فقد روي عنه أنه قال : عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته، أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها، واختار هذا القول الإمام النووي، فقال في شرح مسلم: إنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته.

والخلاف في لفظ التأويل في الآية على ثلاثة أقوال:

أولا: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو اصطلاح أكثر المتأخرين.

ثانيا: التفسير ، وهذا ما يكثر الطبري، من استخدامه في تفسيره.

ثالثا: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفس ما يكون في اليوم الآخر، ومثال ذلك قول عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده : "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن ، تعني قوله تعالى : (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا).

- **تأويل المتشابه عند الأشاعرة:**

مذهب أهل السنة والجماعة – الأشاعرة والماتريدية – مذهب واضح في جميع أبواب علم التوحيد، ولكن أكثر ما ينكره من جهلوا حقيقة المذهب مسألة في الإيمان بالله، وهي تتعلق بـ «الإضافات إلى الله» أو ما يسمى بـ «الصفات الخبرية».

ونشـأ هذا بسـبب أن بعض الألفاظ الواردة في القرآن، والتي أضـافها الله له في كتابه العزيز يريد بعضـهم أن يثبتها على الحقيقة اللغوية مما يلزم منه تشـبيه الخالق سبحانه وتعالى بخلقه، وأما أهل الحق فرأوا أن هذه الألفاظ لاسبيل لمعرفة معناها لأنها من قبيل المتشابه.

فهم يرون أن هذه الإضـــافات أو الصـــفات الخبرية لم تثبت لله من جهة العقل، وإنما ثبتت بالخبر، فطريقهم فيها هو أن هذه الألفاظ المضافة لله، أو الصفات المخبر بها، يُسلم بها وتمر كما جاءت دون أن يعتقد حقيقة مدلولاتها اللغوية، فلا يقولون نثبتها على المعني اللغوي الحقيقي لها؛ إذ ظاهر الألفاظ يدل على حقائق معانيها معروفة في اللغة، وهذه الحقائق اللغوية تتنافى مع تنزيه الباري سبحانه وتعالى.

وعلى هذا درج المتقدمون من أهل السنة والجماعة، والذين عرفوا فيما بعد الأشاعرة.

ومتأخروهم سلكوا مسلك التأويل، حين رأوا أن الإثبات على طريقة المشبهة، أفضى عند بعضهم إلى القول بالجســـمية ولوازمها، والمتقدمون من أهل الســـنة والمتأخرون كلهم متفقون على الإمرار وعدم التعرض للفظة بالنفي، وكذلك عدم اعتقاد حقيقتها اللغوية التي من شأنها تشبيه الرب سبحانه وتعالى بخلقه، ولكن زاد المتأخرون بأن هذه الألفاظ لا يجوز أن يفهم منها إلا ما يليق بالله، فكأنهم يقولون للخصـم إذا صـممت أن تتكلم عن معنى لهذا الصـفات فقل أي معنى إلا المعنى الذي ينقص من قدر الرب ويشـــبهه بخلقه، فقالوا : أيها الخصـــم قل : عين الله تعني رعايته وعنايته كما في قوله تعالى : "وَلِتُصْـنَعَ عَلَى عَيْنِي"، ولكن إياك أن تقول : إنها جارحة؛ ولذا يصـلح أن نقول إن مذهب السـلف مذهب اعتقاد، ومذهب الخلف مذهب مناظرة.

فهذا مذهب أهل الســـنة في التعامل مع تلك الألفاظ التي إذا ما أُثبتت على الحقيقة اللغوية تلزم التشـــبيه قطعًا؛ ولذا قال الحافظ العراقي في معرض الكلام عن «الوجه» : «تكرر ذكر وجه الله تعالى في الكتاب والسنة وللناس في ذلك – كغيره من الصفات – مذهبان مشهوران:

أحدهما: إمرارها كما جاءت من غير كيف فنؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء وأن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين.

وثانيهما: تأويلها على ما يليق بذاته الكريمة فالمراد بالوجه الموجود، ويقصد بالناس أهل الحق.

وما أجمل ما قال ابن قدامة المقدســي في لمعة الاعتقاد عن تلك الألفاظ التي توهم التشـــبيه في حملها على الحقيقة اللغوية حيث قال: « وكل ما جاء في القرآن أو صـــح عن المصـــطفى عليه الســـلام من صـفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسـليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشـبيه،

والتمثيل وما أشـــكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله اتباعًا لطريق الراسـخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سـبحانه وتعالى:"وَالرَّاسِـــخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا"، وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشـــابه تنزيله : {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـــابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ"، فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم ثم حجبهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه وما يعلم تأويله إلا الله .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضـي الله عنه في قول النبي صـلي الله عليه وسـلم إن الله ينزل إلى سماء الدنيا، وإن الله يرى في القيامة. وما أشـبه هذه الأحاديث نؤمن بها ونصـدق بها لا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئا منه، ونعلم أن ما جاء به الرسـول حق، ولا نرد على رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم ، ولا نصـف الله بأكثر مما وصـف به نفسـه بلا حد ولا غاية "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـيْءٌ وَهُوَ السَّـمِيعُ الْبَصِـير. ونقول كما قال، ونصـفه بما وصـف به نفسـه، لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصـف الواصـفين، نؤمن بالقرآن كله، محكمه ومتشـابهه، ولا نزيل عنه صـفة من صـفاته لشـناعة شـنعت ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصـديق الرسـول صـلي الله عليه وسـلم وتثبيت القرآن. قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشـافعي رضـي الله عنه آمنت بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله .

وعلى هذا درج السـلف وأئمة الخلف رضـي الله عنهم كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

والعلماء فسروا الاستواء في قوله تعلى: "الرحمن على العرش استوى "طه5، بالعلو والارتفاع؛ لأن لفظه قد يخفى على بعض الناس، وليس واضحًا كوضوح النزول واليد وغيرهما، وقد قال شيخ الإسلام: والسلف فسروا الاستواء بما يتضمن الارتفاع فوق العرش, كما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية في قوله {ثم استوى {قال: ارتفع. وكذلك رواه ابن أبي حاتم وغيره بأسانيدهم رواه من حديث آدم بن أبي إياس عن أبي جعفر عن أبي الربيع عن أبي العالية: {ثم استوى} قال :ارتفع. وقال البخاري: وقال مجاهد في قوله: {ثم استوى على العرش} علا على العرش .

- **فوائد معرفة المتشابه:**

- حث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه.

- ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات إذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج إلى تأويل لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره.
- الحصول على الثواب الأكبر، ذلك لأن المتشابه يوجب فهمه التعمق في معرفة النحو والمعاني وغيرهما والوقوف على أساليب العرب والعلوم الأخرى.
- ابتلاء العباد بالوقوف عنده، والتوقف فيه، والتفويض والتسليم، والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ وإن لم يجز العمل بما فيه.
- استكمال جوانب التأثير في العقيدة، وذلك لتتوافر للعقيدة الصفة المهمة التي تجعلها عقيدة تملأ النفس، وتحوز الإعجاب.
- إقامة الحجة على الناس جميعا بهذا الكتاب، الذي جاء بكل ما يتطلع إليه الناس أفرادا وجماعات سواء كان في العقيدة التي تنأى عن الخرافة والباطل، وتدعو إلى الإيمان بحقائق يدرك الناس بعضها ويعجز العقل البشري عن إدراك بعضها، أو كان في التشريع المتكامل أو في الحياة الروحية السامية التي أقامها بين الناس.

إقامة الحجة على العرب البلغاء حيث نزل القرآن بلغتهم ، ومع ذلك فقد عجزوا عن الوقوف على معنى بعض الآيات ، فدل ذلك على أنه منزل من عند الله عز وجل.

**نماذج من الآيات المتشابهة:**

- قال الله تعالى :"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ" المجادلة: 7.
- "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ" الواقعة: 85
- "وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا " الطور: 48.
- وقال سبحانه :"الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى" طه: 5
- " وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ" الزخرف: 84
- "وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ" الأنعام: 3
- وقال جل جلاله :"وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " الفجر: 22
- "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ" البقرة: 210

- "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً" الأنعام: 158
- وقال سبحانه :"يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِم " النحل: 50
- "وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ " الزمر: 67
- "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ" القمر:54- 55

# علم الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

**مقدمة:**

اعتنى العلماء بالناسخ والمنسوخ على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم، فالمحدِّثون اعتنوا به باعتباره طورًا مهمًّا في الأطوار أو المراحل المتبعة عند ظهور تعارض بين حديثين؛ حيث إنه إذا تعذر الجمع لجؤوا إلى الترجيح، فإن تعذر وعلم التاريخ اعتمدوا النَّسخ، وأما علماء القرآن فاهتمامهم بالنَّسخ يعود لكونه وقع بلا ريب في القرآن الكريم، ويتوقف على وجوده من عدمه بقاءُ أحكام أو ارتفاعها؛ لذا فقد اعتنوا به عناية كبيرة، ومنهم من جعله علمًا مستقلاً من علوم القرآن، كالإمام السيوطي رحمه الله تعالى؛ حيث عقد له الباب السابع والأربعين – في ناسخه منسوخه –، وقبله الإمام بدر الدين الزركشي جعله في الباب الرابع والثلاثين من كتابه البرهان" :معرفة ناسخه ومنسوخه."

**تعريف النَّسخ:**

**تعريف النَّسخ في اللغة:**

النَّسخ :مصدر للفعل الثلاثي: نسخ، يقال: نسَخت أنسَخ نسخًا، ويأتي بمعان: الإزالة – والإبطال – والنقل والإثبات، والتحويل والتبديل:

يقول ابن فارس رحمه الله تعالى: "(نسخ) النون والسين والخاء: أصل واحد، إلا أنه مختلف في قياسه، قال قوم: قياسه :رفع شيء وإثبات غيره مكانه، وقال آخَرون: قياسه: تحويل شيء إلى شيء[1]، قال السجستاني: النَّسخ: أن تحول ما في الخلية من العسل والنحل في أخرى، قال :ومنه نسخ الكتاب"

ويرد بمعنى:

•الإزالة والإبطال: يقال: نسَخت الشمس الظل: أزالته، ونسخت الرياح الآثار :أزالتها وأبطلتها، يقول الراغب في المفردات: "النَّسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه؛ كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، والشيب الشباب."ومنه قوله تعالى :﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ [2]﴾[3]؛

•النقل والإثبات: أي: النقل من موضع إلى آخر، يقال: نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه حاكيًا للفظه وخطه، وفي هذا يتحقق كذلك معنى الإثبات؛ كما يقول الراغب: "ونسخ الكتاب: نقلُ صورته المجردة إلى كتاب آخر، وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى، بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخرى"، ومنه قوله تعالى :﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4]؛

---

[1] – مقاييس اللغة لابن فارس، مادة نسخ

[2] – الحج: 52

[3] – المفردات للراغب، مادة نسخ

[4] – الجاثية: 29

•التحويل: وذلك كتناسخ المواريث، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد.

**تعريف النَّسخ في الاصطلاح:**

النَّسخ في الاصطلاح: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخٍ عنه، أو رفع حكم شرعي بمثله مع تراخيه عنه. وقال الآمدي والقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو حامد الغزالي أن النَّسخ هو: "الخطاب الدال على ارتفاع الحُكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجهٍ لولاه لكان ثابتًا، مع تراخيه عنه." وشرعا معناه: "أن يرد دليل شرعي متراخيا عن دليل شرعي مقتضيًا خلاف حكمه، فهو تبديل بالنظر إلى علمنا وبيان لمدّة الحكم بالنظر إلى علم الله تعالى"[5]، وهو أيضا "بيان انتهاء الحكم الشرعي في حقّ صاحب الشرع، وكان انتهاؤه عند الله تعالى معلوما، إلاّ أنّ في علمنا كان استمراره ودوامه وبالناسخ علمنا انتهاءه، وكان في حقّنا تبديلا وتغييرا"[6].

**أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ:**

أفرد ابن الجوزي رحمه الله تعالى بابًا خاصًّا لبيان فضيلة هذا العلم وضرورة تعلمه، وأورد فيه تسعة آثار بأسانيدها عن علي وحذيفة بن اليمان وابن عباس رضي الله عنهم، وكلها تتحدث عن وجوب معرفة الناسخ والمنسوخ لمن يفتي الناس أو يحدِّثهم في أمور الدِّين وأحكامه.

وقد كثُرت أقوال العلماء في بيان أهمية موضوع النَّسخ، وذلك منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم؛ فقد روي عن علي رضي الله عنه أنه مر على قاص، فقال له: "هل تعلم الناسخ والمنسوخ؟"، قال: لا، فقال: "هلكتَ وأهلكتَ."

وعن الحَبْر ابنِ عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :﴿ يوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[7]، قال: "يعني: المعرفة بالقرآن؛ ناسخه ومنسوخه، ومحكَمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله"

قال الإمام الزركشي في بداية حديثه عن علم النَّسخ: "والعلم به عظيم الشأن"

وقال الإمام السيوطي: "قال الأئمة، لا يجوز لأحد أن يفسِّر كتابَ الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ.

ومما يبين عِظم شأن علم النَّسخ ما ذكره العلامة الزرقاني رحمه الله تعالى في مناهله:

---

[5] – الجرجاني، د.ت، ص202

[6] – الجرجاني، د.ت، ص202

[7] – البقرة: 269

– الإلمام بالناسخ والمنسوخ يكشف النقاب عن سير التشريع الإسلامي، ويُطلع الإنسان على حكمة الله في تربيته للخَلق، وسياسته للبشر، وابتلائه للناس، مما يدل دلالة واضحة على أن نفسَ محمد النبي الأمي لا يمكن أن تكون المصدرَ لمثل هذا القرآن، ولا المنبع لمثل هذا التشريع، إنما هو تنزيل من حكيم حميد.

– أن معرفة الناسخ والمنسوخ ركن عظيم في فهم الإسلام، وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام، خصوصًا إذا ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها، وناسخها من منسوخها؛ ولهذا كان سلفُنا الصالح يعنَوْن بهذه الناحية، يحذقونها، ويلفتون أنظار الناس إليها، ويحملونهم عليها.

**من مؤلفات الناسخ والمنسوخ:**

وقد اهتمّ العلماء بالناسخ والمنسوخ إلى درجة تحوّل معها هذا المبحث علما قائم الذات، واعتبر من أهمّ علوم القرآن والتفسير، ومن الكتب المطبوعة المصنفة قديماً في الناسخ والمنسوخ :

1 – الناسخ والمنسوخ في القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام ( ت 224 هـ) .

2 – الناسخ والمنسوخ في القرآن، لأبي جعفر النحاس ( ت 328 هـ )

3 – الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب ( ت 407 هـ )

4 – الناسخ والمنسوخ، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ( ت 429 هـ )

5 – الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي ( ت 543 هـ )

6 – نواسخ القرآن، لابن الجوزي ( ت 597 هـ) .

7 – ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، لابن البارزي ( ت 738 هـ )

ومن المؤلفات الحديثة المطبوعة في موضوع النسخ :

1 – النسخ في القرآن الكريم، لمصطفى زيد ( رسالة دكتوراه) .

2 – نظرية النسخ في الشرائع السماوية، لشعبان محمد إسماعيل .

3 – فتح المنان في نسخ القرآن، لعلي حسن العريض .

4 – النسخ بين الإثبات والنفي ، لمحمد محمود فرغلي .

5 – دراسات في الإحكام والنسخ في القرآن الكريم ، لمحمد حمزة .

6 – الأدلة المطمئنة على ثبوت النسخ في الكتاب والسنة ، لعبد الله مصطفى العريس.

**الحكمة من النسخ:**

– الاختبار والامتحان: فتارة ينزل الوحي بالحكم الشاق على المكلّفين لأجل اختبارهم وامتحان صدق إيمانهم. كما مضى في آية: {لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله}. ونسخها بآية: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}...الآية. فخفف الله تعالى عن الأمة ولم يؤاخذهم بما لا طاقة لهم به.

– التدرج في التشريع، لحداثة الناس بالجاهلية، كالتدرج في تحريم الخمر، وكذا التدرج في عدد الصلوات المشهور في حديث الإسراء والمعراج.

– إظهار نعمة الله عز وجل بما يرفع به من الحرج والضيق بنوع سابق من أنواع التكليف، ومثال ذلك تقليص عدة المرأة المتوفى عنها زوجها من عام إلى أربعة أشهر.

– تطييب نفس النبي صلى الله عليه وسلم ونفوس أصحابه بتمييز هذه الأمة على الأمم وإظهار فضلها. ومثاله تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة كما مضى بيانه.

**طرق إثبات النسخ:**

–أن يكون في أحد النصَّين ما يدل على تعيين المتأخر منهما، مثاله: قوله تعالى :﴿ آشْفَقْتُم أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[8]، وذلك بعد قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾[9]. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تذكِّر الآخرة)).

–الإجماع: أن ينعقدَ إجماع الأمَّة في عصر من العصور على تعيين المتقدم من المتأخر منهما، مثاله: قتل شارب الخمر في المرة الرابعة، فإنه منسوخ، عُرِف نسخه بالإجماع، كما ذكر الإمام النووي في شرح مسلم.

–أن يردَ من طرق صحيحة عن أحد من الصحابة ما يفيد تعيينَ أحد النصَّين المتعارضين للسبق عن الآخر، أو التراخي عنه.مثاله قول جابر رضي الله عنه" :كان آخرَ الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسم تركُ الوضوء مما مست النار."

[8] – المجادلة: 13

[9] – المجادلة:12

-التاريخ :أي: معرفة تاريخ النصَّين، فينسخ المتأخر المتقدم، مثاله: حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أفطر الحاجم والمحجوم))، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم، بين الشافعي: أن الثاني ناسخ للأول، من حيث إنه رُوي في حديث شداد: أنه كان مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم زمانَ الفتح، فرأى رجلاً يحتجم في شهر رمضان فقال: ((أفطر الحاجم والمحجوم))، وروي في حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرِم صائم، فبان بذلك: أن الأول كان زمن الفتح في سنة ثمان، والثاني في حجة الوداع في سنة عشر.

**الطرق المختلف فيها لمعرفة النَّسخ:**

- قول الصحابي: هذا ناسخ وذلك منسوخ، قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى" :وخصَّص أهل الأصول ثبوت النَّسخ بقوله – أي الصحابي – فيما إذا أخبر بأن هذا متأخر، فإن قال: هذا ناسخ، لم يثبت به النَّسخ، قالوا: لجواز أن يقوله عن اجتهاده، بِناءً على أن قولَه ليس بحجة، وما قاله أهل الحديث أوضحُ وأشهر، والنَّسخ لا يصار إليه بالاجتهاد والرأي، وإنما يصار إليه عند معرفة التاريخ، والصحابة أورع من أن يحكُم أحد منهم على حُكم شرعي بنسخ من غير أن يعرف تأخر الناسخ عنه.

- كون أحد النصين المتعارضين مثبتًا في المصحف بعد النص الآخر؛ فإن البعض يرى أن المتأخر في الإثبات ناسخ للمتقدم.

- أن يكون أحد الراويَيْنِ من أحداث الصحابة دون الراوي للنص الآخر.

- أن يكون أحد الراويَيْنِ أسلم قبل الآخر.

- أن يكون أحد النصَّين موافقًا للبراءة الأصلية دون الآخر، مثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا وضوءَ مما مست النار)) فإنه لا يلزم أن يكون سابقًا على الخبر الوارد بإيجاب الوضوء مما مست النار، ولا يخلو وقوع هذا من حكمة عظيمة، هي تخفيف الله عن عباده بعد أن ابتلاهم بالتشديد.

**أنواع النسخ:**

وينقسم النسخ إلى قسمين:

- **نسخ جزئي**، وهو على خمسة أقسام:

**تخصيص العام:**

وذلك بورود النص بلفظ يدل على استيعاب جميع ما يتناوله ذلك اللفظ، ثم يأتي التخصيص فيخرج به بعض أفراد ذلك العام، ويبقى ما سواه مرادا باللفظ.

ومثال ذلك: خبر ابن عباس رضي الله عنهما قال: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا}[10]، ثم نُسخ واستثنى من ذلك: {ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم[11]}[12]

**تقييد المطلق** :

وذلك بورود النص بلفظ يتناول شيئا أو شخصا غير محدد، فيأتي في موضع آخر ما يحدده.

مثاله: قول قتادة وغيره من السلف في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته}[13]، قالوا: نُسخت بقوله تعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم[14]}.[15]

**تبيين المجمل وتفسيره:**

كما وقع عند نزول قوله تعالى: {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله}[16]، لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، اشتد ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم، فنزلت آية: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت[17]}[18]

**ترك العمل بالنص مؤقتا لتغير الظرف:**

والمراد به: الإزالة الوقتية للعمل بالنص الأول، لا إسقاط العمل به مطلقا، فاستعماله لم يزل قائما، لكنه موقوف حتى يكون الوقت الذي يناسبه، وليس هكذا النسخ بمعناه الاصطلاحي؛ لأن هذه الصورة ليست معارضة بين نصين نفى المتأخر منهما المتقدم .

---

[10] – النور/ 27

[11] – النور/ 29

[12] – أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (رقم: 1056)

[13] – آل عمران/ 102

[14] – التغابن/ 16

[15] – أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (1/ 128)

[16] – البقرة/ 284

[17] – البقرة/ 286

[18] – أخرجه مسلم (رقم 125)،

ومثاله: جميع الآيات الآمرة بالعفو أو الصفح أو الإعراض عن المشركين والكفار، مع الآيات الآمرة بقتالهم أو بأخذ الجزية منهم، فقد زعم بعض السلف أن القتال أو أخذ الجزية قد نسخ الحكم الأول.[19]

**نقل حكم الإباحة الأصلية:**

والمراد: ما كان مسكوتا عنه من الأشياء؛ كالمآكل والمشارب والملابس، وشبه ذلك، فكان حكمه قبل ورود الناقل على الإباحة، وهي: حكم مستفاد من مجرد سكوت الشارع عنه. فوقع في كلام بعض السلف إطلاق اسم "النسخ" على تغيير تلك الإباحة إلى حكم جديد بالنص.

ومثاله: ما وقع في شأن تحريم الخمر؛ فإن النصوص جاءت فيه على النحو الذي ورد في حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء". فنزلت آية البقرة: {يسألونك عن الخمر والميسر...}[20].

فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: "اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء"، فنزلت آية النساء: {يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل}[21].

فدعي عمر، فقرئت عليه، ثم قال: "اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء". فنزلت آية المائدة: {يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلم رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطن أن يوقع بينكم العدوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون}[22]، فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: "انتهينا انتهينا".[23]

وهذه الوجوه الخمسة من "النسخ الجزئي" إنما أطلق عليها اسم "النسخ" ليست في التحقيق من باب النسخ الذي استقر معناه عند أهل العلم من بعد، إنما كانت متعارفا عليها لدى السلف، أما عند المتأخرين فإنما يطلق النسخ على النسخ العام .

- **ونسخ عام وهو على ثلاثة أقسام:**

**1-نسخ الحكم مع بقاء التلاوة:**

---

[19] – المقدمات الأساسية" (ص212)

[20] – البقرة/ 219

[21] – النساء/ 43

[22] – المائدة/ 90، 91

[23] – الإمام أحمد في "المسند" (1/ 332، رقم: 378)

وذلك بأن ينسخ الحكم الشرعي المتضمن في الآية الكريمة، مع بقاء نص الآية يتلى ويكتب في المصحف، ومثاله: قوله تعالى: {واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا}. [النساء/ 15، نسخ بقوله تعالى: {الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة}. [النور/ 2]. كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهم.

**2- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم:**

وهو قليل الوجود في النصوص المنقولة إلينا، وثبوت حكمه مع نسخ تلاوته إنما عرف من طريق النقل الثابت.

ومثاله: ما روي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: "لقد كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة؛ لابتغى إليهما آخر، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب".

**3 – نسخ التلاوة والحكم:**

وهو نوعان:

الأول: ما بلغنا لفظه أو موضوعه؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت" :كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرّمن، ثم نُسخت بخمسٍ معلومات".

الثاني: ما بلغنا مجرد الخبر عنه ورُفع منه كل شيء، كما في حديث زر بن حُبيش رضي الله عنه قال: "قال لي أبي بن كعب: كأيّن تُقرأ سورة الأحزاب؟، أو: كأين تعدُّها؟. قال: قلت له: ثلاثا وسبعين آية، فقال: قط؟، لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة".

**شروط القول بالنسخ:**

**– أن يكونا ثابتين بالنص:** أي: أن يكون كل من الناسخ والمنسوخ إما آية من كتاب الله تعالى وإما سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيصح أن تنسخ الآية الآية والسنة، كما يصح أن تنسخ السنة الآية والسنة على خلاف.

- **أن يأتيا على صيغة طلب أو ما يفيده:** إذ النص يأتي إما على صيغة طلب؛ كالأمر والنهي، ومثاله: قوله تعالى: {فول وجهك شطر المسجد الحرام}[24]، أو صيغة خبر معناه الطلب؛ كقوله تعالى: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا}[25].

قال القرطبي: "قيل: إن الخبر إذا تضمن حكما شرعيا جاز نسخه؛ كقوله تعالى} :ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا}".[26]

أما ما لم يرد على صيغة الطلب، كالنصوص المتحدثة عن أخبار الأمم الأخرى، والإخبار عما سيكون؛ كأشراط الساعة، وما هو من جنس ذلك؛ لا يكون فيه نسخ إجماعا، لأن الخبر الصادر يستحيل الرجوع عنه، لما يقتضي من الخطأ في أحد الخبرين، والحق تعالى منزه عنه.

- **أن يكونا ثابتين نقلا:** وهذا الشرط معتبر عندما تكون السنة طرفا في النسخ، أما بالنسبة للقرآن الكريم فقد وصل إلينا بالتواتر القطعي الذي لا يحوم به شك.

قال أبو بكر ابن خزيمة: "لا يجوز ترك ما قد صح من أمره صلى الله عليه وسلم وفعله في وقت من الأوقات إلا بخبر صحيح عنه ينسخ أمره ذلك وفعله"[27]

قال القرطبي وابن عطية: "والحذاق على تجويز نسخ القرآن بخبر الواحد عقلا، واختلفوا هل وقع شرعا؛ فذهب الجويني وغيره إلى وقوعه في نازلة مسجد قباء، في التحول إلى القبلة، وأبى ذلك قوم".[28]

- **أن يكونا حكمين شرعيين:** والمقصود، أن يكون الحكم ثابتا بخطاب الشرع لا بدليل العقل، مثل ما يثبت بطريق الاستصحاب، كالإباحة الأصلية، والبراءة الأصلية.

- **أن يكونا عمليين:** أي: يتصلا بأحكام كسب الجوارح؛ كالصلاة والصوم، مثل: نسخ استقبال بيت المقدس في الصلاة باستقبال القبلة، ونسخ فرض قيام الليل في أول سورة المزمل بما أنزل في آخرها. أما العقائد فلا يدخلها النسخ.

- **أن يكونا جزئيين:** فيمتنع النسخ في القواعد ومقاصد التشريع؛ لأنها كليات، وإنما وقع النسخ في جزئيات الأحكام؛ رعاية للمقاصد الكلية.

---

[24] - البقرة/ 144

[25] - البقرة 234

[26] - الجامع لأحكام القرآن" (1/ 64)

[27] - صحيح ابن خزيمة (3/ 57)

[28] - الجامع لأحكام القرآن" (1/ 65)،

- **أن يكونا متعارضين في المعنى**: بمعنى أنه لا يوجد سبيل لإعمال النصين جميعا، وإنما يأتي أحدهما على ضد الآخر في دلالته ومعناه، فكل نصين أمكن التوفيق بينهما يقدم التوفيق على النسخ.

- **أن يكون الناسخ متأخرا في زمن الشريعة عن المنسوخ** : والمراد به: أن يكون الحكمان قد انفصل أحدهما عن الآخر بزمان أمكن فيه امتثال الحكم المنسوخ قبل تبديله بالناسخ. كقوله تعالى: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الأسود] [29]. فعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن أحدهم كان إذا نام قبل أن يتعشى لم يحل له أن يأكل شيئا ولا يشرب ليلته ويومه من الغد حتى تغرب الشمس، حتى نزلت هذه الآية".[30]

# علم إعجاز القرآن الكريم

**مقدمة :**

إن النظر في جهود العلماء في خدمة القرآن الكريم ليبين مدى العناية والاهتمام الذي حظي به جانب من هذه الخدمة، وهو الإعجاز القرآني، سواء في جانبه البياني اللغوي أو التشريعي أو الغيبي أوالعلمي أو العددي...، ذلك أنَّ التسليم بأنَّ القرآن الكريم معجز للبشر، يؤدي بدوره إلى التسليم بأنه من عند الله تعالى.

[29] - البقرة/ 187

[30] - أخرجه الإمام أحمد (30/ 573)

ومعلوم أن الله تعالى أنزل على نبيه القرآن بلسان عربي مبين في أُمَّة أُمية لها باعها الطويل والقِدح المعلَّى في البيان والفصاحة وروعة الأسلوب، حتى كانت لهم الأسواق والمنابر والمواسم يعرضون فيها أنفس البضائع، وأدق وأجود وأبرع صناعتهم البيانية والشعرية.

فنزل القرآن على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهو معجزته الكبرى، ودليله على النبوة وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى، وقد وقف أئمة اللُّغة من العرب عاجزين أمام القرآن أن يحاكوه أو يماثلوه في أزهى العصور للأُمَّة العربية بياناً وفصاحة وبلاغة. فكان التحدي بألفاظ القرآن وكلماته في فصاحته وبلاغته وبيان أسلوبه.

**أ– الإعجاز البياني في القرآن الكريم:**

**تعريف المعجزة :**

المعجزة اسم فاعل مؤنث من فعل ذلك الفعل. وفي الاصطلاح: هي الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة يظهره الله – تعالى –على يد النبي، تصديقاً له في دعوى النبوة.[31]

ويشترط في المعجزة أن تكون فعلاً من الأفعال المخالفة لما تعوَّد عليه الناس وألفوه، وتظهر على يد من يدّعي النبوة، ويكون الغرض من ظهور هذا الفعل الخارق هو تحدي المنكرين، سواء صرح النبي صاحب المعجزة بالتحدي أو كان التحدي مفهوماً من قرائن الأحوال، وتكون المعجزة موافقة ومصدقة لدعوى النبوة، ويعجز المنكرون عن الإتيان بمعجزة مماثلة لمعجزة النبي، أي يعجزون عن معارضته.

**تعريف الإعجاز :**

الإعجاز في الاصطلاح:"أن يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق" كما يقول الجرجاني، واشترط مصطفى صادق الرافعي في الإعجاز، أن يتوفر فيه ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت".[32]

**تعريف البيان:**

البيان: عبارة عن إظهار المعنى بعبارة مبيِّنة عن حقيقته من غير توسع في الكلام،

**معجزة القرآن :**

[31] – شرح الجلال على العقائد العضدية، 276/2.

[32] – الرافعي: إعجاز القرآن، ص 139.

تفوق القرآن عما يشاكله من كلام البشر، غير أنَّ القوم أنكروا هذا التفوق، وقالوا (قَد سَمِعنَا لَو نَشَاء لَقُلنَا مِثلَ هَذَا إِن هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)، وجاء التحدي (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ, مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ)، فتحداهم بأن ياتوا بحديث مثله، ثم تحداهم أن ياتوا بعشر سور مثله مفتريات فقال تعالى: (فَأْتُوا بِعَشرِ سُوَرٍ, مِّثْلِهِ مُفتَرَيَاتٍ, وَادعُوا مَنِ استَطَعتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ)، ثم تحداهم بسورة واحدة، فقال تعالى: (قُل فَأْتُوا بِسُورَةٍ, مِّثْلِهِ وَادعُوا مَنِ استَطَعتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ)، ولئن تقاصرت قدرتكم أن تأتوا بسورة مماثلة لسورة على التحديد (فَأْتُوا بِسُورَةٍ, مِّن مِّثْلِهِ وَادعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ).

**وجوه الإعجاز :**

إضافة إلى العجز عن إدراك المعاني القرآنية لبعض الألفاظ، وقف العرب على عجزهم عن إدراك أسرار البلاغة القرآنية، وطريقة تناول الآيات للمعاني. لقد ورث الناس اللغة عبر العصور، وكانوا أشد عجزا ممن تنزل فيهم القرآن، وهذا العجز راجع إلى نظم القرآن وبلاغته، وشرف معناه ودقته، وهو يظهر في أقصر سورة من القرآن، وهو مناط براعة القوم، وقد شهدوا على قوة سحر نظمه وبلاغته، وانبهروا بأسلوبه. فما وسعهم بعد عجزهم إلا أن يتهموا نبيهم بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر.

قال السيوطي في"الإتقان": أخرج الحاكم عن ابن عباس أنه قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إنَّ لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال :لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره". وقد قص الله – تعالى –علينا خبره في سورة المدثر[33].

واختلف اللغويون والعلماء في فهم لغة القرآن، ففي الوقت الذي يثبت فيه جمهورهم بلاغة اللفظ القرآني وعجز العرب على الإتيان بمثله بلاغة، فإن المعتزلة ممثلين في النَّظَّام (ت 200هـ) قالوا"بالصرفة"، ومعناها: أنَّ الله تعالى صرفهم عن معارضة القرآن فسلبهم المقدرة أو سلبهم الداعي،

[33] – سورة المدثر، الآيات 11-26.

لتقوم الحُجَّة عليهم، بمرأى ومسمع من جميع العرب،. قال العلاَّمة ابن عاشور: "فعجز جميع المتحدين عن الإتيان بمثل القرآن أمر متواتر بتواتر هذه الآيات بينهم وسكوتهم عن المعارضة مع توافر دواعيهم عليها ."

وأما الذي عليه جمهرة المحققين، واقتصر عليه إمام الحرمين، وعليه الجاحظ وأهل العربية فالتعليل لعجز المتحدين به بأنه بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مبلغاً تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله .

**كتب الإعجاز :**

من الذين كتبوا في الإعجاز القرآني الجاحظ تلميذ إبراهيم، ووضع كتاباً حول الإعجاز الأسلوبي للقرآن أسماه "نظم القرآن"، ويعتبر كتاب الجاحظ المفقود هذا أول كتاب في إعجاز القرآن كما يقول الباقلاني (ت 306هـ)،

وفي القرن الرابع نجد رسالة للرماني في إعجاز القرآن، والخطابي (ت 388هـ)، في كتاب له عن إعجاز القرآن من جهة بلاغته، وفي القرن الخامس الهجري، ومع اتساع مجالات علم الكلام كتب الباقلاني في الإعجاز، وعبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" حيث وضع نظرية النظم وضعاً متكاملاً، وإليها يرجع الفضل في تطور علوم البلاغة بعد ذلك.

وهكذا بدأت بحوث الإعجاز تتميز عن بحوث البلاغة وعلم الكلام، وفتح عبد القاهر والباقلاني باب تلك البحوث لمن جاء بعدهما. ففي القرن التالي لهما، وهو القرن السادس، نجد الاهتمام بالبحث في الإعجاز يتسع ليشمل متكلِّمين كأبي حامد الغزالي، والقاضي عياض، ومفسرين كالإمام الزمخشري وابن عطية.

وفي القرن السابع نجد الإمام فخر الدين الرازي، وهو مفسر مشهور ويأخذ تفسيره المسَمَّى "مفاتيح الغيب" طابعاً خاصاً يهتم بالرد على فرق كثيرة من المتكلِّمين والزنادقة.

ونجد السكاكي البلاغي في كتابه: "مفتاح العلوم" الذي يعدّه كثير من الباحثين خاتمة كتب البلاغة القديمة في صورتها الإبداعية، ويعدّون مؤلفات البلاغة بعد السكاكي مجرد شروح وحواش وتلخيصات واجترار لما قاله السابقون .

وفي القرن الثامن نجد آراء قيمة للزملكاني (ت 727هـ) في كتابه: "التبيان في إعجاز القرآن"، وابن تيمية (ت 728هـ) في كتابه: "جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن"، والخطيب

الذي لخص كتاب: \"مفتاح العلوم" للسكاكي، ويحيى بن حمزة العلوي (ت 749هـ) صاحب كتاب: "الطراز"، وابن القيم (ت751هـ) صاحب كتاب "الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان"، وفي القرن التاسع نجد آراء لابن خلدون والفيروزآبادي والمراكشي، وفي القرن العاشر يظهر السيوطي بكتابيه:"الإتقان في علوم القرآن" و"معترك الأقران في إعجاز القرآن"، وفي القرن الحادي عشر نجد الشهاب الخفاجي، وفي القرن الثاني عشر نجد الضرير المالكي الإسكندري، الذي تفرَّد بين علماء التفسير بوضعه تفسيراً منظوماً كاملاً للقرآن الكريم. ولازال إعجاز القرآن يشغل باب المهتمين، فقد ألف الرافعي كتابيه: "آداب العرب" و"إعجاز القرآن"، والدكتور محمد عبد الله دراز كتابه: "النبأ العظيم" وسيد قطب في كتابه: "التصوير الفني في القرآن".

ب- **الإعجاز الغيبي في القرآن:**

من دلائل إعجاز القرآن الباهرة الإعجاز الغيبي؛ فقد أخبر بأمور تقع في المستقبل، فجاءت كما أخبر، لم تتخلف أو تتغير، وهذا ما لا سبيل للبشر إليه بحال، وهو كثير في القرآن كثير،ومن أمثلته:

**انتصار الروم على الفرس:**

قال تعالى: "الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم"[34]، وأصل الحادثة أن فارس الوثنية غلبت الروم الكتابية، فشمت كفار مكَّة في النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، فأنزل الله الآيات السابقة تحدِّيًا للعرب وبشرى للمؤمنين؛ لأن طائفة الإيمان ستنتصر؛ لكن الذي يعنينا أن القرآن الكريم أخبر عن حدث غيبي مهم، لم يستطع أَحد -في ذلك العصر- أن يغير منه في شيء، أو يكذبه، وهو لون من ألوان الإعجاز الغيبي الذي جاء به القرآن الكريم متحدِّيًا به كل معاند له، أو جاحد لحقيقته، وقد حدث ما أخبر به الله تعالى من انتصار الروم على الفرس، وكان ذلك وقت غزوة بدر.

**انتصار المسلمين المستضعفين:**

ومن الآيات القرآنية التي بشَّرت المسلمين المستضعفين في مكة أنهم سينتصرون على عدوهم، وستقوم دولتهم، قوله: "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ"[35]. فقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره أنه

[34] - الروم:1-5

[35] - القمر: 45

لما نزلت هذه الآية الكريمة "قال عمر: أيّ جمَع يُهزم؟ أيّ جَمْع يُغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيتُ رسولَ الله يثب في الدرع، وهو يقول: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}. فعرفتُ تأويلها يومئذ.

**بشرى دخول المسجد الحرام:**

ومن ألوان الإعجاز الغيبي ما بشر به الله تعالى رسولَه والمؤمنين مِنْ دخول المسجد الحرام، والطواف بالكعبة المشرَّفة؛ فقد قال تعالى: "لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا"[36]. فهذه الآية نزلت عند الانصراف من الحُديبية.

وقد تحقق هذا الوعد بتمامه من العام التالي؛ فقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم، على الهيئة التي ذكرهم القرآن الكريم بها؛ من تحليق الرءوس والأمن في المسجد الحرام، وكان هذا في ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة.

**بشرى تمكين الدين في الأرض:**

قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55]. وقد تحقق للمسلمين ذلك في أقل من خمسة وعشرين عامًا فملئوا السمع والبصر بقيمهم وحضارتهم، فامتدَّتْ خلافتهم من الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، بل ووصلت إلى أوربا شمالاً.

هذا طرف من إعجاز القرآن؛ ذلك الإعجاز الذي لا تنتهي عجائبه، ولا يَخْلَق من كثرة الردّ؛ فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فاستحقَّ بذلك أن يكون معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة.

**ج- الإعجاز التشريعي:**

جاء القرآن دستورا أخلاقيا واجتماعيا ينظم سلوك الإنسان في الدنيا وعلاقته بنفسه وبخالقه سبحانه وتعالى، ورتب نتائج دنيوية وأخروية على نتيجة سيره وفق هذا الدستور الإلهي الكريم، حيث يشعر بالطمأنينة والعزة والرفاه في الدنيا، ويدرك الحكمة الإلهية من خلقه وإيجاده وتفضيله على سائر المخلوقات، كما تترتب على ذلك السعادة في الآخرة استمرارا لسعادته الدنيوية.

[36] - الفتح: 27

ففي مجال العقيدة، جاء القرآن الكريم بعقيدة سهلة خالية من التعقيد ملائمة للفطرة الإنسانية تملأ النفس طمأنينة وارتياحا، والقلب نورا وانشراحا، والعقل قناعة، وقدمها بأسلوب عذب جذاب مؤثر في المخاطبين ومن أمثلة ذلك:

- إظهار الإبداع في الخلق يقول تعالى *:إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فالِقُ الْإِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْباناً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[37].

- رد شبه المنحرفين وزيغ الزائغين عن عقيدة التوحيد بالبراهين العقلية الدامغة، يقول تعالى :قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا"[38]، "لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ"[39].

- تقرير وحدة الرسالات السماوية في أهدافها ومنطلقاتها، يقول تعالى:كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ"[40]، وبين أن مهمة الرسل تبليغ رسالات ربهم ، وليس حمل الناس على الدخول في دينهم أو إنزال العقوبات بهم، يقول تعالى: "قُلْ إِنِّي عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ما عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ"[41].

---

[37] - الأنعام 95-99

[38] - الإسراء 42

[39] - الأنبياء 22

[40] - البقرة 213

[41] - الأنعام 57-58

أما في الجانب التشريعي، فقد أرسى القرآن الكريم دعائم المجتمع الإسلامي على أسس متينة وشرع مجموعة من التشريعات في مجالات اجتماعية متعددة، سواء في مجال الأسرة أو النظام الاجتماعي أو تدبير شؤون الناس والحكم. ومنها:

– إنشاء الروابط الاجتماعية على الولاء الديني: ذلك أنه جعل رابطة العقيدة هي التي تشكل الآصرة التي تربط الأفراد في المجتمع، وليس القومية أو القبلية أو الجنس أو اللون، يقول تعالى :لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ"[42].

– تشريع أحكام تعبدية لتزكية النفس وتساميها عن الأهواء والشهوات، والتنبيه إلى أثرها الاجتماعي، فالصلاة تربية الفرد على النظام، والزكاة قضاء على الحقد والبغضاء بين الطبقات وإشعار بتكافل المسلمين وتضامنهم، والصوم إشعار بوحدة الأمة وتعويد لها على الصبر وقوة الإرادة وتنمية مراقبة الله تعالى في السر والعلن، والحج إبراز المساواة بين الناس وتذكيرهم بالموقف الأكبر وإظهار للمساواة بين المسلمين، ووحدة أمتهم الإسلامية على اختلاف ألوانها وأجناسها.

– تشريع الحدود ونظام القصاص صيانة لدماء الناس، وحفظا للأعراض والأموال والأنفس، قال تعالى: "وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[43]، ويقول تعالى :وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"[44].

– الاهتمام التشريعي بالأسرة، فهي اللبنة الأولى لتماسك المجتمع، فكلما تقوت مناعتها تجاه الأوبئة الخلقية والانحرافات الاجتماعية كان صرح الأمة قويا منيعا.

– تشريعات متعلقة بشؤون السلطة والسياسة والحكم، فقد قرن القرآن الكريم بين الشورى وبين الصلاة والزكاة، قال تعالى :وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ"[45].

---

[42] – المجادلة 22

[43] – المائدة 45

[44] – البقرة 188

[45] – الشورى 37-38

ولم يحدد القرآن الكريم طريقة المشورة ووسيلتها توسعة ورحمة بالخلق، واستمرارا لإعجاز النص القرآني وصلاحيته لكل عصر.

– الأمر بالعدل المطلق بين الرعية: قال تعالى *:إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"[46].

– تشريع التكافل الاجتماعي: قال تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[47].

**د– الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:**

– السنة الشمسية والقمرية: السنة الشمسية تزيد قليلا عن 365 يوما شمسيا والسنة القمرية تزيد قليلا عن 354 والفرق بينهما بالضبط 10.875149 وبذلك يكون في كل 33 سنة فرق قدره 358.87917 يوما أو نحو سنة تقريبا .

وعلى ذلك فإن كل مائة سنة شمسية تصنع فارقا قمريا ثلاث سنوات وتكون ثلاثمائة سنة شمسية يقابلها 309 سنة قمرية وهذه الحقيقة العلمية في سورة الكهف ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً)[48]، والمتأمل في لفظ الآية في قوله تعالى (سنين) ولم يقل سنة يرى كأنه قال ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة ثم قال سنين أي ليست شهورا ولا أياما.

- كروية الأرض: حتى عهد قريب من عمر الإنسانية لم يكن أحد يصدق أن الأرض كروية وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ )[49]. ومعنى الآية أي يغشى الليل على النهار ويغشى النهار على الليل وكأنه يلف عليه لف الرداء على من يرتديه وقال أبو عبيدة (وأصل التكوير اللف والجمع ومنه تكوير العمامة)

- أنواع الجبال: قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ)[50]. والعرب تسمى شديد السواد الذي لونه كلون الغراب

---

[46] – النحل 90

[47] – التوبة 71

[48] – الكهف25

[49] – الزمر 5

[50] – فاطر 27

أسود غربيب ، والمتدبر للمعاني اللطيفة في الآية الشريفة يرى توازن الألوان في نعوت الجبال المختلفة ودقة تدرجها فتبدأ بالأبيض وتنتهي بالسواد ويتوسط هذه وتلك حمرة متدرجة الألوان

- الرياح لواقح وبشرى: أثبتت التجارب الحديثة أن الرياح من أهم الوسائل لتلقيح النباتات حيث تحمل اللقاح من النبات الذكر إلى الأنثى ليتم الإخصاب وهذه العملية ضرورية في كثير من النباتات المعروفة. قال تعالى ( وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) [51].

- إعجاز القرآن في خلق الإنسان من طين: أثبتت التحليلات أن عناصر الطين 16 عنصر أولها الأكسجين وآخرها المنجنيز، قال تعالى: ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ) [52].

[51] – الحجر 22

[52] – المؤمنون12

# علم غريب القرآن الكريم

**تعريف علم الغريب:**

**أ- مفهوم الغريب في اللغة:**

الغريب في اللغة البعيد عن وطنه، جمعه غرباء، وقالت العرب: قذَفَتْهُ نوى غَرْبة، أي بعيدة، كما جاء في استعمالهم: أصابه سهْمُ غَرْب، أي لا يدرى راميه، واشتقوا من مادة (غريب) أفعالاً، قالوا: اغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه .

من خلال المعاني المتقدمة، يلاحظ أن مادة (غريب) تحمل في أصولها معنى البعد من الأنس، والانفراد عن أبناء الجنس، لذلك استعاروا منها صورة تشبيهية نقلوها لمن انفرد عن أهله ولا ناصح له، قالوا: وجه كمرآة الغريبة؛ لأنها في غير قومها فمرآتها أبداً مجلوّةٌ؛ لأنه لا ناصح لها في وجهها ومن هنا ظهر المعنى الاصطلاحي.

تدل مادة "غَرب" في قواميس اللغة على جملة من المعاني، منها الغياب والبعد والغموض والخفاء... قال الزمخشري: "غرب: بَعُد... وغربت الوحش في مغاربها أي غابت في مكانسها... ورمى فأغرب أي أبعد المرمى... وتكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وقد غرُبت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة... وأغرب الفَرَس في جريه والرَّجل في ضحِكه إذا أكثر منه، ونُهِي عن الاستغراب في الضحك وهو أقصاه"[53].

وقال ابن منظور: "غرب أي بَعُد، ويقال أُغْرُب عني أي تباعد... وغربت الكلاب: أي أمعنت في طلب الصيد... والغريب: الغامض من الكلام[54]".

[53] – أساس البلاغة، مادة غرب

[54] – لسان العرب، مادة غرب

والغريب من الكلام على حد تعبير أبي سليمان الخطابي: "الغامض البعيد عن الفهم، كما أن الغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، والغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما أن يراد به أنه بعيد المعنى غامضه، لا يتناول الفهم إلا عن بُعد ومعاناة فكر. والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها[55]".

**ب- مفهوم الغريب في الاصطلاح:**

هو الغامض من الكلام، وكلمة غريبة ويقال: تكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت، فهي غريبة، ومنه مُصنف الغريب، وقد أوضحوا المقصود من الكلام الغريب، بقولهم: وكلام غريب بعيد عن الفهم .

يلاحظ مما سبق أن الكلام الغريب، أو الغرابة في اللفظة، كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة .

الغريب من القرآن هو الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم التي لم تتضح دلالتها على المعنى بشكل ظاهر، وهي على وجهين: إما أن يكون معناها غامضا لا يفهم إلا بعد بحث وتنقيب وجهد، وإما أن يكون معناها معروفا لدى قوم دون غيرهم، لأنها مستعملة في لغتهم . ولا يُقْصَد بها الحُوشِي والوَحْشي من الألفاظ، والذي ينافي الفصاحة ويُخِلُّ بها، فألفاظ القرآن الكريم كلها فصيحة تَجِل وتُنَزّه عن هذا الوصف.

**ج- مفهوم غريب القرآن:**

أما علم غريب القرآن؛ فهو العلم الذي يهتم بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها، بما جاء في لغة العرب وكلامهم. قال أبو حيان الأندلسي: لغات القرآن العزيز على قسمين: "قسم: يكاد يشترك في معناه عامة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض وفوق وتحت. وقسم: يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه، وسَمَّوْه: غريب القرآن[56]".

**د- أهمية علم الغريب القرآني:**

[55] - كتاب غريب الحديث، ص 70-71

[56] - تحفة الأريب، ص 40

تكمن أهمية علم الغريب القرآني في كونه يتعلق بشرح ألفاظ القرآن الكريم، فهو يمثل المفتاح لفهم كتاب الله تعالى، ويساعد العلماء على استنباط الأحكام الشرعية منه. يقول الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات في غريب القرآن": «إن أول ما يَحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية. ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانِيَهُ... وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته... وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[57].

وقد ذكر السيوطي أنه مما ينبغي الاعتناء به، فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا: "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"، وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعا :"من قرأ القرآن فأعربه، كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات".

والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، ولا يراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة.

ومن أجل ذلك؛ نبه الزركشي إلى أن معرفة هذا الفن للمفسر ضروري، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى.

وقال عبد الحميد الفراهي في مقدمة كتابه ‘‘المفردات’’ :"لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى لفهم الكلام، وبعض الجهلِ بالجزءِ يُفضي إلى زيادة جهلٍ بالمجموع، وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سد جميع أبوابه، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن، أُغْلِق عليه باب التدبر وأشكَل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسور".

ولغريب القرآن أهمية لغوية أيضا إضافة لأهميته الدينية؛ لأنه يمثل تطور الألفاظ العربية، التي أصبحت بعد نزول القرآن ذات معنيين: معنى لغوي تعرفه العرب، ومعنى اصطلاحي شرعي جديد.

وعلى العموم؛ يمكن أن نجمل أهمية علم الغريب القرآني في ما يلي:

ذ- لا يمكن تدبر القرآن وفهمه دون معرفة بمعاني الألفاظ الغريبة.

ر- يتوقف تفسير القرآن عليه، ويمثل عمدة للفقيه في استنباط الأحكام الشرعية.

ز- يبرز ثروة القرآن اللغوية، وفي ذلك إعجاز لأنه أحاط بلغات العرب.

[57] - المفردات، مادة غرب

ط- **نشأة علم الغريب وتطوره:**

أشار القرآن زمن النزول، إلى ضرورة بيان ألفاظه، قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم}[58]. ولا غرابة في ذلك، لأن القرآن نزل بلهجات مختلفات، كل لهجة وفدت من بيئة مخالفة للأخرى.

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم- إذا التبس عليهم لفظ من القرآن، رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيفسره لهم. ومن الشواهد الحديثية ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه سُئِل عن تفسير قوله تعالى {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}[59]، فقال: فيما يروي عنه أنس رضي الله عنه ''للذين أحسنوا أي: العمل في الدنيا، لهم الحسنى وهي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى. ''

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، امتنع أغلب الصحابة عن تفسير ألفاظ القرآن الكريم، حيطة واحترازا من افتراء الكذب على الله. قال السيوطي: "فهؤلاء الصحابة وهم العرب العُرَباء، وأصحاب اللغة الفُصَحاء، ومن نزل القرآن عليهم بلغتهم، توقفوا في ألفاظٍ لم يعرفوا معناها، فلم يقولوا شيئا، فأخرج أبو عبيد في ''الفضائل'' عن إبراهيم التيمي: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى: {وفاكهة و أبا}[60] فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟. وأخرج عن أنس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر {وفاكهة وأبًّا}، فقال: هذه الفاكهة عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر.

ومن الصحابة الذين أقدموا على تفسير ألفاظ القرآن الكريم عبد الله بن عباس، قال السيوطي: ''وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما {فاطر السماوات}، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها. وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب؛ فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديواننا، فالتمسنا معرفة ذلك منه.

ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب.

---

[58] - النحل 44

[59] - يونس 26

[60] - عبس 31

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: قال ابن عباس: (ما كنت أدري ما قوله تعالى "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق"[61] حتى سمعت قول بنت ذي يزن:تعال أفاتحك. تقول: تعال أخاصمك)

ولما اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، واختلط العرب بالعجم، وامتزجت الألسن وتداخلت اللغات؛ ظهرت حاجة مُلِحّة من المسلمين لمعرفة ما لا يفهمون معناه من كتاب الله تعالى. فاجتهد التابعون في تكميل هذا النقص، وسلكوا سبيل الصحابة في ذلك حَتّى انقضى عهدهم. وجاء من جاء بعدهم، فألفوا مؤلفات في شرح غريب القرآن. "فكانت هذه المحاولات اللغوية لتفسير ألفاظ القرآن الكريم هي الخطوة الممهدة للتأليف في التفسير، الذي تطور فيما بعد، وضم بالإضافة لتفسير الألفاظ القصص القرآني والأحكام وجوانب لغوية أخر". وهكذا صار علم غريب القرآن علما قرآنيا مستقلاً، ألّف فيه كبار العلماء واللغويين والمفسرين، تيسيرا للناس كي يفهموا ما غمض عليهم من كلام الله عز وجل. وتطور التأليف فيه بما يلائم كل عصر، حتى قال السيوطي: "أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون".

**ر– بعض أسباب غرابة اللفظ القرآني:**

أنْزل الله القرآن بلسان عربي مبين، ومع ذلك وقف الصحابة على بعض ألفاظه فلم يفهموا معناها، وبدأت دائرتها تتسع في عهد التابعين ومن بعدهم لعدة أسباب:

أ– التعدد اللغوي في القرآن، من لهجات القبائل كثقيف وهُذيل وغيرهم، فقد رُوِي عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يخاطب وفد بني فهد، قال: ‘‘يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال: أدّبني ربي فأحسن تأديبي، ورُبّيت في بني سعد’’ .

ومن ذلك أيضا ما روي عن عمر بن الخطاب: ‘‘بينما عمر رضي الله عنه على المنبر، قال: يا أيها الناس، ما تقولون في قوله عز وجل {أو يأخذهم على تخوف}[62]؟ فسكت الناس، فقال شيخ من هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف: التنقص... فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال نعم: قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة:تَخَوّفَ الرّحْلُ مِنْها تَامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوّفَ عودَ

[61] – الأعراف 89

[62] – النحل 47

النَّبْعَةِ السَّفِـنُ. فقال عمر رضي الله عنه: يا أيها الناس، عليكم بديوان شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم.

ب- وجود ألفاظ مُعرّبة في القرآن، كلفظ غسلين ومعناه صديد أهل النار، وقمطريرا ومعناها شديدا، واستبرق ومعناها الديباج.

ج- تميزه بخصائص الخطاب العربي ترادف كقوله تعالى:{فلما آسفونا}وهو الحزن والغضب. واشتراك لفظي كقوله تعالى:{والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء} فالقرء عند أهل الحجاز يعني الطهر، وعند أهل العراق يعني الحيض.

د- ألفاظ لها معاني جديدة في اللسان العربي كالصاخة والقارعة والواقعة والطامة.

ز- **أهم مصادر تفسير غريب القرآن :**

نستطيع القول إن أولى مصادر بيان الغريب في القرآن، هو القرآن نفسه، كتفسير الظلم بالشرك. وبيانات الرسول صلى الله عليم وسلم، كتفسيره للخيط الأبيض والخيط الأسود بياض النهار وسواد الليل، وأقوال الصحابة، الذين عايشوا الظروف والأحداث التي واكبت نزول القرآن.

ومن مصادره أيضا مدونة الشعر العربي وأساليب العرب في التخاطب، قال السيوطي في الإتقان: قال أبو بكر بن الأنباري: قد جاء عن الصحابة والتابعين، كثيرا، الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر. وأنكر جماعة، لا علم لهم، على النحويين ذلك، وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن. وقالوا: كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن، وهو مذموم في القرآن والحديث!؟

قال: وليس الأمر كما زعموا من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن، بل أردنا تَبْيِينَ الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال: {إنا جعلناه قرآنا عربيا}[63]، وقال {بلسان عربي مبين}[64].

س-**أبرز المصنفات في علم غريب القرآن:**

من الباحثين في علوم القرآن والمؤرخين من يرجع بدايات التأليف في غريب القرآن إلى سؤالات نافع بنِ الأزرق لعبد الله بنِ عباس رضي الله عنهما، وهي أسئلة عن ألفاظٍ غريبة من القرآن، امتحنه

[63] - الزخرف 3

[64] - الشعراء 195

بها نافع بن الأزرق الخارجي (ت 65هـ)، أوردها أبو بكر الأنباري (ت328هـ) في كتابه'' :إيضاح الوقف والابتداء'' والسيوطي (ت911هـ) في كتابه "الإتقان".

لكن الاتفاق على أن أول من ألف في غريب القرآن:

- أبو سعيد أبان بنِ تغلب بن رباح الجريري (ت141هـ)، بعنوان: غريب القرآن.
- أبو عبد الله بنِ أنس بن مالك الأصبحي إمام المذهب المالكي (ت179هـ) ، بعنوان: غريب القرآن.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت210هـ)، بكتاب مجاز القرآن.
- أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي (ت231هـ) بكتاب غريب القرآن.
- أبو محمد عبدِ الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، بكتابه تفسير غريب القرآن.
- أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ)، بكتاب معاني القرآن.
- أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي (438هـ)، بكتابه العمدة في غريب القرآن.
- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي أبي الفرج (ت597هـ) بكتابه الأريب بما في القرآن من الغريب.
- أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي(ت745هـ)، بكتابه تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب.
- ابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن أحمد الأنصاري (ت804هـ)، بكتابه تفسير غريب القرآن
- شهاب الدين أحمد بن محمد ابن الهائم الشافعي (ت 815هـ)، بكتابه التبيان في تفسير غريب القرآن.

**نماذج تطبيقية من بعض كتب الغريب القرآني:**

- نموذج من كتاب المفردات في غريب القرآن'' للأصفهاني 502هـ:

- كتاب الزاي:

✓ زبد: الزَّبَدُ زَبَدُ الماء، وقد أزبَد أي صار ذا زبَدٍ. قال: {فأما الزَّبَدُ فيذهب جُفاءً} والزُّبْدُ اشتُق منه لمشابهته إياه في اللون، وزَبَدْتُه زبدا أعطيته مالا كالزَّبَدِ كثرة وأطعمته الزُّبدة، والزَّبادُ نَوْرٌ يُشبهُ بياضا.

✓ زج: الزُّجاج حجر شفافٌ، الواحدة زجاجة، قال: {المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري} والزُّجُّ حديدة أسفل الرمح جمعه زِجاج، وزَججت الرجل طعنته بالزُّج، وأزججت الرمح جعلت له زُجّا... والزَّجَجُ دقة في الحاجبين مشبه بالزُّج...

- كتاب الفاء:

- ✓ فتح: الفتحُ إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه وكفتح القُفل، والغَلْقِ والمتاع، نحو قولِه: {ولما فتحوا متاعهم} {ولو فتحنا عليهم بابا من السماء}. والثاني يُدْرك بالبصيرة كفتح الهَمّ، وهو إزالة الغم.
- ✓ فتر: الفُتُور سكون بعد حِدَّة، ولِينٌ بعد شِدَّة، وضَعف بعد قوة، قال تعالى: {يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولُنا يُبيّن لكم على فترة من الرسل} أي سكونِ حالٍ عن مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم. وقوله: {لايفترون} أي: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال» :لكُل عمَلٍ شِرَّةٌ ولِكل شِرَّةٍ فَترة، فمن فتر إلى سنتي فقد نجا وإلا فقد هلك».

- نموذج من كتاب "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" لأبي حيان الأندلسي 754هـ:

- حرف الهمزة:

- ✓ أَبَبَ: {الأبُّ}: ما رعته الأنعام، وقيل: هو للبهائم كالفاكهة للناس.
- ✓ أَرَب: {الإرْبةُ}: الحاجة.
- ✓ أوَب: {أوَّاب}: رجَّاع – {أوّبي}: سبّحي.
- ✓ ألَت: {ألَت} : نقص، ويقال: لات يليت.
- ✓ أمت: {الأَمْت} : الارتفاع والهبوط.
- ✓ أثث: {الأثاث}: المتاع.

نماذج من حرف الميم:

- ✓ ملأ: {الملأ}: الأشراف – .مقت: {مقتا}: بُغضا.
- ✓ مشج: {أمشاج}: اختلاط، واحدها: مَشج ومشيج ومِشج. وهو هنا اختلاط النطفة بالدم.
- ✓ مرج: {مرج البحرين}: خلى بينهما، مَرَجْتُ الدّابةَ، خَليْتُهَا ترْعَى. وقِيل خَلَطَهُما. {مريج}: مختلط – موج: {موْج}: مضطرب.
- ✓ مسح: {المسيح}: في اشتقاقه ستة أقوال أحدها: أن يكون مبالغة، فيكون معناه: يمسح المرض عن المريض .

**– نماذج تطبيقية:**

- ✓ قال تعالى: "تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى" (النجم/22)، الشاهد فيه: (ضِيزَى)، ويراد بها: عوجاء، أو جائرة، أو ناقصة.
- ✓ قال تعالى: "وَفَاكِهَةً وَأَبًّا" (عبس/31)، الشاهد فيه: (أَبًّا)، ويراد بها: ما ترعاه البهائم، وقيل: التبن.
- ✓ قال تعالى: "وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ" (البقرة/228). الشاهد فيه: (قُرُوءٍ)، وهي جمع قرء، ويراد بها :الحيض، أو الطهارة.
- ✓ قال تعالى:"وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ" (الحاقة/36)، الشاهد فيه: (غِسْلِينٍ)، ويراد بها: ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم، وكأنه يغسل عنهم.
- ✓ قال تعالى: "فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ" (القلم/20)، الشاهد فيه: (كَالصَّرِيمِ)، أي: كالليل الشديد الظلمة، فهي سوداء محترقة.

# علم التناسب في القرآن الكريم

## تقديم:

التناسب علم يهتم بالكشف عن الترابط اللفظي والمعنوي بين آي وسور الذكر الكريم، ويظهر الوحدة النسقية للقرآن الكريم، والدلالة الكلية لمدلوله، فهو بناء فكري و لغوي متكامل وشامل ومستقل

بذاته. فهو أداة لفهم القرآن واستنباط معانيه، ومنهج لاعتبار سياقات النصوص، وفهمها في علاقتها بما قبلها وما بعدها، فالقرآن الكريم لا يمكن فهم جزئياته إلا في إطاره الكلي.

ولذلك اهتم به قليل من علماء المسلمين، وقال السيوطي: "علم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته"[65]، ومن أوائل من تحدث فيه العلامة أبو بكر النيسابوري ( ت 324 )، وإن تأخر التأليف في هذا الباب، إلا أن الذين عنوا بالتأليف في ذلك حققوا فيه الكفاية، ومن المؤلات المشهورة:

- البرهان في ترتيب سور القرآن : ابن الزبير الغرناطي ( ت 807 هـ) .
- نظم الدرر في تناسب الآيات و السور : برهان الدين البقاعي ( ت 885 هـ)
- أسرار التنزيل للسيوطي ( ت 911 هـ )
- تناسق الدرر في تناسب السور : للسيوطي ، دراسة و تحقيق أحمد عطا . بيروت 1986 م.
- مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع ، و هو يتناول بالدرس فواتح السور مع خواتمها
- جواهر البيان في تناسب سور القرآن : عبد الله الغماري ، طبع بالقاهرة
- التناسب البياني في القرآن " دراسة في النظم المعنوي و الصوتي" الدكتور أحمد أبو زيد، أطروحة دكتوراه الدولة ، نوقشت سنة 1990 م . وطبعتها كلية الآداب و العلوم الإنانية بالرباط ، المغرب 1992 م.

ومما له صلة بعلم المناسبة علم توجيه متشابهات القرآن ، ومما ألف فيه:

- درة التنزيل و غرة التأويل : الخطيب الإسكافي ( ت 420 هـ )
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : لأبي جعفر ابن الزبير الغرناطي ( ت 708 هـ )
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ)

## - ترتيب السور في القرآن الكريم:

نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مدة زمنية تقدر بأكثر من عشرين سنة، قال تعالى –: ((وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً)). وكونه أنزل على مدى سنين متطاولة وبمناسبات مختلفة متفاوتة، فهذا دليل بين على إعجازه لأنه كلام عالم الغيب والشهادة: ((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)).

65 – معترك الأقران في إعجاز القرآن [43/1].

والعلماء على أن ترتيب القرآن بعد التدوين والكتابة هو ترتيب توقيفي، وأدلة هذا الترتيب كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)).
- وقوله: ((كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)).
- وقوله: ((ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً)).
- وقوله: ((إن علينا جمعه وقرآنه)) والجمع كما قال المفسرون على معنيين: جمعه في صدر النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وجمعه بمعنى تأليفه.
- وفي الحديث عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلةٍ, من شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة)[66].
- وعن أبي هريرة قال: كان يعرض على النبي – صلى الله عليه وسلم – القرآن كل عامٍ, مرةً فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف في كل عامٍ, عشراً فاعتكف في العام الذي قبض فيه عشرين[67].
- وعن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: ((وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً))[68].
- وقال أوس بن حذيفة الثقفي: سألت أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: ثلاثٌ وخمسٌ وسبعٌ وتسعٌ وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده.[69]

---

[66] – صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن. باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي – صلى الله عليه وسلم –. رقم الحديث [4997].

[67] – صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن. باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي – صلى الله عليه وسلم –. رقم الحديث [4998].

[68] – رواه بن كثير في فضل القرآن وصحح إسناده.

[69] – رواه أبو داود. كتاب شهر رمضان. حديث رقم [1390] وفي المسند برقم [16111].

- وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: (يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال في شهر، قال: إني أقوى من ذلك. ردد الكلام أبو موسى وتناقصه حتى قال: اقرأه في سبع، قال: إني أقوى من ذلك. قال: لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث)[70].

- **أهمية علم التناسب:**

من ثمرات هذا علم التناسب:

– الالتفات إلى الحكمة من هذا الترتيب والاهتمام باستخراج المعاني والحكم ولطائف النكت التي لا يتوصل إليها إلا بالتماس المناسبة والربط، قال الفخر الرازي: "علم المناسبات علمٌ عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول".

– الاستفادة من تاريخ النزول، وفهم حكمة الترتيب القرآني، قال الإمام الزركشي: "وقال بعض مشايخنا المحققين: وقد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبةٌ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبةً سوره كلها و آياته بالتوقيف"[71].

– معرفة إحكام القرآن في أسلوبه، ودقة نظمه، وبراعة ترتيبه، قال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: إن القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذٌ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكةٌ واحدةٌ ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقةٌ مفرغة، أو كأنه سمطٌ وحيد وعقدٌ فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقاً لأوله، وبدا أوله مواتياً لآخره.[72]

– المساعدة على تدبر آي القرآن الكريم وفهم دلالة ألفاظه، قال الشيخ محمد عبد الله دراز: (أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسسٍ وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، و امتد من كل شعبة منها فروعٌ تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرةً واحدةً، لا تحس بشيء

---

[70] – رواه أبو داود. كتاب شهر رمضان. حديث رقم [1387].

71 – البرهان [37/1].

[72] – مناهل العرفان [53/1].

من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيءٍ, من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام، والالتحام، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، إنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفاً).[73]

- **أنواع التناسب في القرآن:**

- مناسبة السورة للسورة التي تليها.
- التناسب بين مطلع السورة وختامها.
- المناسبة بين الآيات.
- الوحدة الموضوعية لكل سورة.
- التنسيق في تأليف العبارات والألفاظ القرآنية ونظمها في نسق معين.

- **كيفية نتعرف على التناسب بين الآي أو السور:**

من الآيات القرآنية ما يكون الترابط ظاهرا بينا، كمقاطع سورة الفاتحة مثلا، فإن الآيات الثلاثة الأولى يتلخص مضمونها في الحمد والثناء على الله بأسمائه وصفاته، ولها علاقة بما بعدها في بيان علاقة العبادة والاستعانة بين الخالق والمخلوق، ومع خاتمتها في الطلب والدعاء.

ومنها ما لايكون ظاهرا، ويعرف بكشف العلاقات بين الآي والسور، فهي إما أن تكون علاقة ائتلاف كالتعاطف، والتعاطف يقتضي التغاير والاشتراك. وإما أن تكون علاقة اختلاف كالتضاد والتقابل، كتقابل ذكر المؤمنين وذكر الكافرين، أو الخير والشر، أو الإيمان والكفر، والظلم والعدل، والبخل والإنفاق، والطيب والخبيث.

وقد يظهر التناس والترابط في ذلك الإسهاب والتفصيل في الأحداث والوقائع، وهذا كثيرا ما يظهر في القصص القرآني، كقصة آدم، او إبليس، أو بني إسرائيل...

- **نماذج من التناسب بين سور القرآن الكريم :**

**النموذج الأول: وجه المناسبة بين سورة الفاتحة وأول سورة البقرة**

[73] – النبأ العظيم [195].

أرشد الله – تعالى – عباده في سورة الفاتحة إلى أن يسألوه الهداية، بقوله: ((اهدنا الصراط المستقيم)) فاستجاب لهم – سبحانه – فقال: ((ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين))، فهذا القرآن هو طريقة الهداية الكبرى.

**النموذج الثاني: وجه التناسب بين آخر سورة الأعراف وأول سورة الأنفال**

ختمت السورة المتقدمة بذكر الله في كل حال: ((واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين))، وبدأت سورة الأنفال بترك الانشغال بحطام الدنيا والسؤال عن الغنائم: ((إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)).

**النموذج الثالث: التناسب بين أوائل سورة الرحمن وأواخر سورة القمر**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[74]، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾[75]

ختم الله سورة القمر بذكر مُلكه العظيم وبليغ قدرته، ومِن ثَمَّ فإن الملك القادر المقتدر لا يكمل مُلكه إلا بذكر الرحمة، ولا بد من عموم هذه الرحمة، فلذلك أتى بعده بسورة الرحمن التي عدَّد فيها الرحمة، وفرَّع ونوَّع النِّعم والآلاء على الخلق جميعًا، وهذا التعدد في النعم لا يكون إلا من ملك قادر رحيم، وقد جاء ذكر النعم وما يَلقاه المتقون في جنات النعيم مُجملاً في سورة القمر، ومِن ثَمَّ فقد اقتضى هذا الإجمال تفصيلاً واستقصاءً، وهو ما جاء في سورة الرحمن التي فصَّل الله فيها نِعمَه وآلاءَه على عباده؛ يقول تعالى :﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾.

يقول البقاعي: "وفصَّل فيها ما أجمَل في آخر القمر من مَقرِّ الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدَّرها بالاسم الدال على عموم الرحمة؛ براعةً للاستهلال، وموازنةً لما حصل بالملك والاقتدار من غاية التبرك والظهور والهيبة"[76].

**النموذج الرابع: وجه التناسب بين آخر سورة الواقعة وأول سورة الحديد**

---

[74] – القمر: 54، 55

[75] – الرحمن: 1 – 7

[76] – نظم الدرر؛ للبقاعي، ج 19، ص 140

قال – تعالى – في آخر سورة الواقعة: ((فسبح باسم ربك العظيم))، وقال في أول سورة الحديد: ((سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)) فالمناسبة والارتباط ظاهر.

**النموذج الخامس: وجه التناسب بين آخر سورة التحريم و أول سورة تبارك**

لما ثبت في السورة المتقدمة (التحريم) أن نوحاً ولوطاً عليهما السلام مع كونهما من الأنبياء لم يستطيعا أن ينقذا أزواجهما من النار، ولم يباركا فيهما.

وأن فرعون رغم جبروته وسعة ملكه وقوة سطوته لم يستطع أن يخضع زوجته ويجعلها تابعةً لكفره وشركه فقد باركها الله، و أن مريم بنت عمران باركها الله واصطفاها على نساء العالمين، فثبت أن البركة كلها إنما هي بيد الله – عز وجل – لا يشاركه فيها أحد، ف ((تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير)).